عظة عيد القديس خارالمبوس
في كنيسة القديسة كاترينا
في ١٠ شباط ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، ما لنا كله من الله، ليس لنا من شيء. الله الذي يعطي، الذي يمنح الصحة والعافية، يمنح الحياة، يمنحنا العقل والقلب ويمنح كل ما نراه ونمسّه ونسمعه. وإذا تأملنا وكنا صادقين في تأملنا، نكتشف ببساطة كلية لأن الإنسان لا يملك شيء عندما ينظر في قبر أو في تابوت، جثّة لا تأخذ معها شيء. تترك كل شيء وكأن الموت نعمة من الله ليقول أنت موجود فيّ، أي أنت موجود بمقدار ما أنت ملتصق بالحياة وأنا هو الحياة. وليقول لهذه النعمة التي هي الموت، لأن إذا من إنسان ظنّ بأنه عظيم ولا يستبدل، الموت يقول لنا بأن الحياة تستمرّ ولو انتقل إلى الحياة الأخرى. الموت يقول لنا بأننا لا نأخذ شيئا من هذه الدنيا، نأخذ أمراً واحداً، قلبا امتلأ من وجود الله وحبه.

الوزنات التي سمعنا عنها، لا ينظر إلى عددها ربنا. الله ينظر إلى العمل بها لأن يسوع قال: أبي يعمل وأنا أعمل. لقد قال يسوع: أنا هو الحق والحياة ولذا كل إنسان يؤمن بالله، أصبح حياً، أصبح فاعلاً، أصبح يرى الدنيا وما فيها، أمراً آخر فيها الجمال لا بل بكلمة واحدة يجد لها غاية. نحن المعمدين يا أحبة، نحن الذين أردنا أن نكون مع الرب، أي الذين سمعنا كلمته وقبلناها وهذا لا يخضع فقط للفكر، أسرار الله لا تدرك بالفكر، لا بل الفكر يخضع للقلب المحب، في الإيمان القلب يتلقى والفكر يخضع لما في القلب ولكن إذا تلقينا بالفكر، الفكر يشوش القلب ويحطمه ولا يكسب شيء.

نحن المعمدين أي الذين ارتضوا أن يموتوا مع الله حبا له وللناس. نحن شئنا، نحن المسيحيين أي الذين أرادوا أن يكون يسوع رباً لهم، سيداً لهم، ملكاً عليهم. نحن الذين قبلنا هذا الأمر، وعينا بأن علاقتنا مع الله لا تخضع لشروط، الحب لا يملي شروطاً. تخيّلوا شبّ وشابة متحابان، بدأ يضع عليها شروط وهي أيضاً. أنا أقول لكم بأن حبهم وحياتهم سيتخربط. المحبة الحقيقية تستوعب ما لا يستوعبه أي شيء. الله المحبة التي لا نقصْ فيها. الله الكامل الذي أحبنا حبا عظيما كهذا، أنه وضع ابنه على الصليب حبا بالإنسان ولخلاصه. هذا الحب المجاني، الله لم يضع شروطاً والذي يحبه لا يفعل أيضاً.

كما شاء الله. المؤمن يقول لله فلتكن مشيئتك، إرادتك لا إرادتي. الله قال لنا أمراً واحداً، إذا شئت أن تصبح كاملاً، أي أن تكون في الغبطة في الراحة، في السلام، اتبعني. أنا

أسير أمامك وأنت اتبع خطاي. عندما بشرنا الأنبياء في العهد القديم بأن مخلصاً آتٍ إلينا، ليرفعنا من آلامنا وقلقنا وهمومنا. عندما تكلم الأنبياء مخبرين إيانا ومنذرين بأن مخلصنا سيأتي، ومن هو هذا المخلص؟ هذا مخلص بعده أو بمجيئه يهرب الخوف، يهرب كل أمر يؤذينا. في الصوم الكبير يا أحبة نسمي الصلاة المسائية، صلاة النوم الكبرى، صلاة ربنا القوات. يا ربنا القوات كن معنا. وبعدئذ نقول لأن الله معنا. تتذكرون في أناجيل الميلاد كيف أن يوسف شكّ في مريم وأتى إليه الملاك وقال: لا تخف يا يوسف أن تأخذ مريم امرأتك لأن المولود فيها هو من الروح القدس. ستلد مخلصا يخلص شعبه من خطاياهم، من ابتعادهم عن الله، سيأتي بهم من جديد ويسكنهم بيت الله. يسكنهم في مجد الله. لكي تتم النبوءة التي قالها أشعياء، اليوم تلد ابنا وتسميه عمانوئيل أي الله معنا.

ما يعني هذا القول؟ نحن بالشرق نقول الله معكم. هذا الملاك قال لمريم، ليوسف بأن الله بولادة يسوع صار بيننا ومعنا. عندما أقول لإنسان الله معك من كل قلبي، عندما أسلّم على آخر، لا أعظم من سلام كهذا. أنا أقول لك وتقول لي الله معك أي أنت لا تخف، أنت باق وقوي.

قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: يا ابني، أنت اهتديت إلى المسيح وأنت تبشر به لأن لا من إنسان يحمل المسيح ويبقى كسلان، بطل. أيها العبد البطال. الإنسان الذي تعمد في المسيح وقبله هو إنسان يبشر به. وكأن بولس يقول: يا ابني إذا كنت أنت في طاعة ربك فأنت في الطريق المستقيم. أنت في طريق الخلاص، أنت في طريق الاستقامة والنزاهة والخلاص. أنت في طريق الفضيلة والأعمال الصالحة. هو يقول: يا ابني يجب أن تكون كالجندي الذي يسمع لقائده، لا يجادله، حيث ما أمر يذهب. تخيلوا أن يأمر القائد الجندي ولا يسمع له. كيف يكون الجيش، قال له: لا تهتم، ليس أحد يتجند ويرتبك بهموم الحياة. لا يمكنك أن تكون جندي وتهتم من أين ستحصل على المال، وكيف ستعمّر القصور وتصبح غني، لأنه من السهولة الكبرى أن تتحول لخائن.

عندما تلتفت للمال، هناك ناس بإمكانهم شراؤك بالمال وتبيع بلدك وأرضك. لهذا السبب الجندي يخضع لقائده ولأوامره، يطيع، يسمع ويعمل. يقول بولس الرسول لابنه تيموثاوس: أنت كرياضي، الألعاب الأولمبية هي قديمة جداً، هي إغريقية الأصل. اللاعب قبل هذه الألعاب، كان يخضع لعشرة شهور لحمية وأكل معين، لتمرينات وتدريب معين. إذا كنت تريد أن تكون رياضي في حقل الرب، في الحلبة، إذا الرياضي الأولمبي لديه مثل هذا التمرين، كم عليّ التمرّن لأكون رياضي في حلبة الرب.

قال له: عليك أن تكون كالزارع. تزرع الفضيلة في نفسك، كلمة الله فيك ولكن البذرة لا تنمى إذا لم تنقي الأرض من الشوك والنباتات الضارة. عليك إزالتها من قلبك. كلمة الله لا

تطلع، إذا لم تفلح الأرض أي كسّرت التربة، جعلتها ناعمة حتى ترتاح البذرة وتنبت. لا يمكنك أن تكون عنيد وتسمع كلمة الله.أنت بحاجة لكسر رقبتك حتى تسمع كلمة الله. على قلبك أن يكون طيب، حنون، لطيف، ناعم حتى يرتاح الله فيه، إذا كنت قاسي فأنت أصبحت مثل الأرض القاسية التي تصلح للزرع. إذاً عليك أن تفلح وتزرع وتترك الله هو يعطيك النعم، هو يرسل الأمطار والرياح اللطيفة في أوقاتها.الله هو من يعطي ولكن عليك أن تزرع.

قال بولس الرسول لتيموثاوس: أنت خادم الله، وخادم الله من علاماته أنه يصبر على الشدائد وعلى المشقات وعلى السجن وعلى الجلد وعلى التعب وعلى السهر وعلى الصوم. ويقول بولس لتلاميذه: تمثلوا بي كما أنا أتمثل بالمسيح. إن جسدي في علامات (تعلمون أن الراعي يعلّم الغنم التي تخصه لتفريقهم) موسوم بسمات الرب يسوع، في جسدي علامات الرب يسوع وهي الجروح التي كانت على رأسه، يديه ورجليه. أنا كتلميذ المسيح لا أهرب من الألم من أجل خدمة الرب والعمل في حقله.

فيا أحبة، الإنسان المؤمن يتحرك بالروح. يسمع كلمة الله ويمشي بهديها، في أي اتجاه شاءت. والروح يهبّ كيفما يشاء هو، وكيفما يهبّ أنا أمشي بهذا الهبوب وعلاماتي تعبي، سهري، ألمي وكل اضطهاد. بارك الله جميع الذين أصبحوا من خاصّة المسيح، يخصونه. هؤلاء صلبوا أجسادهم عن الشهوات والأهواء وعن كل ما يؤذي سيرهم في طريق الرب الضيق، لان طريق الملكوت هو ضيق والذين يتخذون هذا الطريق يصلون إلى ملكوت الله أي يصبحون خاضعين للرب برضىً كلّي، ويؤهلون للحياة الأبدية. آمين.